بلسيوس : قصة غرام لمصر دامت ٤٠ عامًا !

أكتوبر

وفدت إلى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أفواج عديدة من الأجانب مختلف الجنسيات الذين أطلق عليهم لقب « المغامرين » وهؤلاء المغامرون جاءوا إما طمعا فى تحقيق مكاسب مادية وإما خدمة لأغراض استراتيجية وعسكرية لدولهم على حساب مصر.

مجدى عبد المجيد

ولكن فى نهاية القرن التاسع عشر وبالتحديد فى ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩ وصل إلى مدينة الإسكندرية شاب ألمانى محتل الصحة جاء بغرض العمل والاستشفاء وبالرغم من أن هذا الشاب الألمانى فيلهلم بلسيوس كان من الممكن أن يكون مغامراً كسابقيه فإنه عشق مصر بمجرد أن وصل إليها وطيلة الأربعين عاما التى قضاها فى ربوعها متنقلا بين القاهرة والدلتا والإسكندرية والصعيد لم يتوان لحظة فى إظهار حبه لمصر وتفانيه فى خدمتها.

فى السادس من سبتمبر سنة ١٨٥١ كانت الصفحة الأولى فى حياة زاخرة بالأعمال الخليقة من أجل ألمانيا ومصر على حد سواء. ففى هذا اليوم رزق سكرتير المستشار القانونى لمدينة هيلدسهايم الواقعة فى ولاية سكسونيا السفلى بشمال ألمانيا بمولود ثالث أسماه فيلهلم فى الفترة بين عامى ٦٠ و١٨٦٦ كان فيلهلم بلسيوس قد أنهى دراسته الابتدائية وبالرغم من أنها لم تكن رغبة والده الدكتور كليمنس بلسيوس فإن فيلهلم أظهر ميلا مبكرا لدراسة التجارة.

وهذا السبب كان سفره إلى مدينة براونشفايج لتعلم قواعد المهنة فى شركة منشهاوزن ذائعة الصيت التى كان يملكها أحد أقاربه.

وفى السنوات الثلاث التى قضاها فيلهلم بلسيوس فى براونشفايج لم يقتصر جهده ووقته على تعلم التجارة فقط بل انكب على دراسة اللغات الأجنبية حتى إنه بعد سنوات قليلة كان يجيد اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والأسبانية واليونانية والعبرية بجانب الألمانية لغته الأم مما سهل عليه التفاعل مع المجتمع الجديد الذى انتقل إليه.

وعندما جاء عام ١٨٦٩ بدأت مرحلة جديدة فى حياة فيلهلم بلسيوس وفى تاريخ العلاقات المصرية الألمانية فلقد سافر بلسيوس من ألمانيا إلى مصر لتولى فرع شركة منشهاوزن. بعد أن نصحه والده بهذه الرحلة عسى أن يساعد تغيير حالة الجو من ألمانيا إلى مصر المشمسة فى تحسين الحالة الصحية لبلسيوس الذى لم يكن مريضا لكنه لم يكن مكتمل العافية أيضا.

وشاء القدر أن تكون مصر فى أبهى زينتها عندما رآها بلسيوس للمرة الأولى. فقد اتفق وصوله إليها مع الاحتفالات الضخمة التى كانت مقامة للترحيب بعظماء أوروبا الذين أتوا إلى مصر لحضور افتتاح قناة السويس.

ولا يمكن أن نطلق على ما حدث لفيلهلم بلسيوس عندما رأى مصر إلا الحب من أول نظرة فلقد عقد بلسيوس آنذاك اتفاقا مع نفسه أن تكون مصر ذلك البلد الجميل وطنه الثانى الذى لم يتركه طيلة أكثر من أربعين عاما إلا لمدة عام واحد لقضاء فترة خدمته العسكرية فى ألمانيا سنة ١٨٧٣.

واستمر بلسيوس بعد عودته من ألمانيا فى أكتوبر سنة ١٨٧٤ فى العمل فى شركة منشهاوزن بالإسكندرية حتى كان أول مارس سنة ١٨٧٨ حيث قرر فيلهلم ترك الشركة وأصبح وكيلا لشركة انجليزية كانت تقوم بمد السوق المصرية بالفحم والحديد والمنسوجات والزجاج.

وبدأ اسم بلسيوس يلمع فى مجال التجارة فى مصر. ولكن فى ذلك الوقت لم تكن التجارة هى كل شغله الشاغل. فلقد بدأ اهتمام جديد ينمو فى نفس الألمانى الشاب الذى ملكه حب مصر. فلم يعد يرى مصر بعين التاجر ولكن بعين العاشق الذى يريد أن يعرف كل شىء عن معشوقه وأن يعبر كل الجسور كى يصل إليها ويحس بها. لذلك فسرعان ما نشأت علاقات صداقة بينه وبين عدد كبير من العلماء والمفكرين الذين كانوا يعيشون فى مصر فى ذلك الوقت.

ولكن بروح العاشق الغيور الذى لا يكتفى بالحاضر فقط بدأ فيلهلم بلسيوس يقارب من ماضى معشوقته مصر. لقد كان يحس بشغف عجيب تجاه مصر القديمة بكنوزها الأثرية وسحرها الغامض الآخاذ. فى هذا الوقت بدأ بلسيوس يجمع بعض الأنتيكات والقطع الأثرية التى كانت تقع عليها عيناه فى حوانيت بيع الأنتيكات.

وفى عام ١٨٨٦ تطورت علاقة بلسيوس بالآثار المصرية. وذلك بعد أن آلم أن يرى كل هذا الجمال وحده، وأراد أن يرسل بعض صور معشوقته مصر إلى أهله فى هيلدسهايم فأرسل للبارون رومير صاحب المتحف الذى كان معروفا

فيلهلم بلسيوس عندما جاء إلى مصر عام ١٨٦٩ ليعمل موظفا فى الإسكندرية

بلسيوس يعرض بعض مقتنياته الأثرية فى منزله بالقاهرة

ملجأ بلسيوس للشيوخ الذى لايزال قائما حتى الآن بالإسكندرية

بلسيوس ونزهة فى شوارع القاهرة عام ١٨٩٥

متحف بلسيوس بهيلدسهايم عندما اجتمعت العائلة أخيرا .. الحائون ، وعفريتى ، وتوت عنخ آمون عام ١٩٧٦ .

باسمه هناك وعرض عليه أن يتبرع هيلدسهايم بالقطع الأثرية التى كانت فى حوزته بشرط أن توضع فى مكان يليق بأهميتها التاريخية وقيمتها الفنية . وليكن هناك مكان مخصص بالمتحف يطلق عليه اسم « الحجرة المصرية » ووافق رومير على عرض بلسيوس الذى أرسل كدفعة أولى بعض المنسوجات التى تعود إلى العصر القبطى .

ويسير اهتمام بلسيوس بالتراث المصرى القديم موازيا لأهتماماته التجارية فساهم فى عقد كثير من الصفقات التجارية الكبيرة بين مصر وألمانيا .

ويواصل بلسيوس تقديم خدماته الجليلة للشعب المصرى فيتوغل مع مجموعة كروب الألمانية مد خط السكك الحديدية بين محافظتى أسيوط وجرجا – سوهاج الآن .

بعدها يصبح بلسيوس ممثلا لشركة كروب فى مصر ليكون مسئولا عن استيراد كل ما يلزم لتوسيع شبكة السكك الحديدية فى مصر .

وفى عام ١٨٩٥ طرحت عملية مد خط سكك حديدية بين قنا وأسوان فى مناقصة عامة فاز بها بلسيوس وشركة كروب ، وكان لكفاءة بلسيوس وإخلاصه فى عمله وحبه لمصر ورغبته فى خدمتها بالوجهة الأولى أن عهدت إليه مهمة توسيع شبكة سكك حديد الدلتا وإنشاء عدة محطات لتكرير المياه وتوليد الكهرباء .

وفى نفس العام يجعل حب بلسيوس لمصر وفعل الخير ، فاشترى قطعة أرض بمدينة الإسكندرية وقرر أن يقيم عليها ملجأ للعجزة ، واشترط بلسيوس ألا تكون هناك شروط لهذا الملجأ ، أى أنه يقبل المسنين للإقامة فى أجنحتهم الأخيرة ، بغض النظر عن جنسيتهم أو ديانتهم .

ولم تقتصر مساهمات بلسيوس فى النهضة المصرية الحديثة فى مجال التجارة والصناعة فقط بل شارك أيضا فى مشروعات تطوير الزراعة بإنشاء مزارع نموذجية للقصب السكر فى كوم أمبو التى أصبحت بعد ذلك من أكبر معاقل زراعة القصب فى مصر .

وفى نفس الوقت لم يكن من الممكن إنكار كفاءة فيلهلم بلسيوس فى معالجة الأمور المالية ، ولهذا السبب استعانت به الحكومة المصرية للمشاركة فى إدارة البنك الأهلى المصرى بمجرد إنشائه . وليس أدل على حب بلسيوس لمصر وتفانيه فى خدمتها من أنه ترك شركته الخاصة من أجل المساعدة فى أن يقف أول بنك وطنى مصرى على قدميه بجانب البنوك الأجنبية الموجودة فى ذلك الوقت .

ويجتمع رجال الخير والبر فى مصر حول فيلهلم بلسيوس الألمانى الجنسية فى ٢٢ يناير ١٨٩٩ لافتتاح ملجأ الشيوخ الذى أقامه على نفقته فى الإسكندرية وجعل إدارته ومهمة الإشراف عليه لراهبات القديس شارل بورميو ، وقد سمى هذا الملجأ بعد ذلك ملجأ بلسيوس وهو لايزال قائما حتى الآن بالإسكندرية .

ومنذ بداية القرن العشرين أخذ اهتمام بلسيوس بالتراث والآثار المصرية شكلا آخر غير مجرد الإعجاب وجمع الأنتيكات وشرائها فبدأ يساهم فى عمليات الكشف والتنقيب عن الآثار . وتولى مهمة الإنفاق على بعثة جامعة ليبزج الألمانية للتنقيب عن الآثار فى منطقة أهرامات الجيزة . ومع الوقت ضاقت أرفف منزل بلسيوس بالقاهرة بالقطع الأثرية التى كان يشتريها أو تهدى إليه ، فى نفس الوقت بدأت الحجرة المصرية بمتحف رومير بمدينة هيلد سهايم تجمع بالمقتنيات التى كان يرسلها بلسيوس لهذا أرسل مجلس بلدية هيلدسهايم يعرض عليهم مشكلته التى تتلخص فى أنه يريد أن يوقف كل مقتنياته على المدينة بشرط أن تجد لها مكانا فسيحا لائقا .

وفى ١٧ أكتوبر ١٩٠٧ يحس بلسيوس بسعادة تغمره لقد تحقق حلمه أخيرا ووافق مجلس بلدية هيلد سهايم على إنشاء متحف دائم للآثار المصرية القديمة يضم إليه مقتنيات الحجرة المصرية بمتحف رومير بالإضافة إلى مجموعة بلسيوس فى القاهرة .

وبدأ بلسيوس فى شحن مجموعة كبيرة ليفتتح المتحف للجمهور الألمانى فى التاسع والعشرين من يوليو عام ١٩١١ ليكون أول متحف أجنبى دائم للآثار المصرية . وليكون أيضا أول متاحف العالم التى تضم مثل هذه الكمية من الآثار المصرية القديمة بعد المتحف المصرى .

ولكى يافتتاح متحف بلسيوس للآثار المصرية بهيلد سهايم لم تنته علاقته بالآثار المصرية ولكنه ظل يساهم فى تمويل البعثات العلمية التى كانت تنقب عن الآثار فى منطقة الأهرامات وكان آخرها بعثة أكاديمية العلوم بفيينا التى جاءت إلى مصر سنة ١٩١٢ .

وبشاء القدر أن يفترق فيلهلم بلسيوس عن معشوقته مصر دون وداع . فقد اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ أثناء وجود بلسيوس فى أوروبا . لم يستطع بعد ذلك العودة لأن الإنجليز أرغموه على تصفية أعماله وأمواله فى مصر .

ومنذ ذلك الحين لم يغادر بلسيوس هيلدسهايم ، كأنما نذر ألا يسافر إلى بلد آخر غير مصر معشوقته التى حرم من زيارتها . وحتى عام ١٩٣٠ حين مات فيلهلم بلسيوس بعد مرض قصير لم يكن هناك أى حدث هام فى حياته حيث عاش منعزلا عن الناس بعد أن وهب كل ما يملك للمساعدة على تحسين المتحف الذى كان يحمل إليه ذكريات مصر الجميلة .

والمرة الوحيدة التى اختلط فيها بلسيوس بالناس فى هذه الفترة كانت عام ١٩٢١ حينما منحته جامعة جوتنجن درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا لخدماته فى مجال المصريات .

ومنذ أيام قليلة احتفلت مدينة هيلد سهايم بمرور نصف قرن على وفاة فيلهلم بلسيوس مؤسس متحف الآثار المصرية بها .

وبالطبع لم تغب مصر عن الاحتفال بذكرى رجل أفنى أربعين عاما فى خدمتها . فلقد شارك السفير المصرى فى بون والملحق الإعلامى فى الحفل بكلمة عرفان لبلسيوس وباقة ورد وضعت على قبره كتبت عليها عبارة واحدة ولكنها تترجم شعور مصر تجاه هذا الرجل الذى أحبها وخدمها تماما كما لو كان فى وطنه . هى : تحية لانسان وصديق حقيق لمصر .

..وارتفعت راية الإسلام

إبراهيم مصبّح

تغير الإنسان فصار سيدا ، له كرامته ، وله شخصيته وله استقلاله فى رأيه ، وله فكره ، وتأمله ، وتأصل مبدأ الشورى والحرية بين الناس ، وتلاحم الفكر بين القيادة والقاعدة .. كل هذا نتاج الهجرة المباركة والعبور الرائع من مكة إلى المدينة ..

محمد ابراهيم الخطيب

فى وسط هذا الظلام الدامس الذى شمل العالم ، ومن بين هذه السحب القاتمة التى خيمت فوق سماء البشرية ، أرسل الله نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، ليهدى هؤلاء القوم الذين وصفوا بالإنسانية إلى حضيض الحياة ، وليخرجهم من الظلمات إلى النور ، أرسله بدعوة دينية ، وثورة اجتماعية ، ونهضة أخلاقية تصلح لكل زمان ومكان .

وها هو ذا رسول الله ﷺ يقول :

أيها الناس : إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، فالكلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى .

ولم تكن لدعوته أغراض شخصية : « يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون » .

وفى هذا المجال يقرر الباحث الإسلامى محمد إبراهيم الخطيب :

أن القلوب المغلقة لا تفتح ، والعقول الخامدة لا تعى ولا تتفتح ، إنهم قوم عاندوا واستكبروا أن يدرسوا ليعلموا أن محمدا هو الحق وأن ما جاء به هو الحق من لدن الله الذى اصطفاه وأرسله رحمة للعالمين ، ومن هنا كان العسف والتعنت والايذاء العنيف فى صور من الضرب ومحاربة المسلمين فى أرزاقهم وتجويعهم وإعطاشهم ، ويزداد الاضطهاد والظلم ويعمل الرسول ما وسعه العمل ويفكر غاية التفكير ويقلب الأمور لعله يجد مخرجا ويرسم مخرجا ، وها نراه يدبر أصحابه إلى هجرة مؤقتة نحو الحبشة حتى يتم التخطيط والإعداد من أجل الهجرة إلى المدينة ، ويقوم فيها يقوم به ﷺ بعرض نفسه على « ثقيف » تلك التى ردته ردا طالما سلطت عليه .. صرينه بالحجارة والخصماء انهمته .. ومع ذلك يصبر ويصبر ويعرض نفسه على أحياء العرب فى موسم الحج لعل وعسى .. ولكن دون جدوى حتى استجاب له الخزرج وقالوا فيما قالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، وبحدد الرسول ﷺ .

الهدف من الهجرة فى خطابه للأنصار : « أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسى ولأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم ويقول : « أنا منكم وأنتم منى : أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » وهكذا وضع الخطة ورسم النهج ولم يكتف بذلك بل جعل الجبهة الداخلية الإسلامية على أتم استعداد وحدد لكل دوره : للشاب دوره ، وللشيخ دوره ، وللمرأة دورها ، وللقوى دوره وللضعف دوره .

وانطلق على بركة الله ليعبر من موقف حتى منه على الدعوة التى قال مدافعا عنها فى يوم من الأيام : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ونجح عبوره الرائع من مكة إلى المدينة وكان لابد له أن ينجح حيث له الشجاعة المؤمنة والعقل المدبر والتفكير السديد وما أدراك ما شجاعة محمد بعقله وتفكيره : وحسبك أن تعلم أن قومه كانوا يستشيرونه فيما يصعب عليهم من أمورهم وهو فى عمر أقل من أعمارهم ويستمعون إلى رأيه وهو أصغرهم سنا .

نعم نجح العبور وحقق أهدافه لأن محمداً ﷺ لم يكن يريد إلا حياة الدعوة وتحريرها ليحرر فى ظلها هذا الإنسان الذى قهرته الظالم ومزقته القسوة وحطمه العدوان وقد كان ، حيث عاشت الدعوة فى مجتمع جديد لا تسلط فيه ولا إرهاب ولا مراكز قوى ، وبدأ التغيير يتناول كل شىء من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا : لقد تحرر الاقتصاد حين تحررت أرض المدينة من أيدى اليهود ، وقضى على كل نوع من أنواع الاستغلال التى كانت تضرب أطنابها هناك .. وفى هذا المجال يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

لقد تحرر الاقتصاد من قبضة الإقطاع المكى واحتكار الشرك ، واستطاع المسلمون بعد هجرتهم أن يسيطروا على طرق المواصلات فى كل اتجاه ، وتحررت وقويت القوة الضاربة المقاتلة المدافعة عن الحق والأرض عند المسلمين فقد كانوا فى غزوة بدر ثلاثمائة وإذا بهم فى غزوة تبوك ثلاثون ألفا ، وتغيرت كذلك أخلاقيات الناس فحسن سلوكهم ، ورقت مشاعرهم ونبضت قلوبهم بالحب والأمل وامتدت أيديهم ليتعاونوا ويتضامنوا ، ويتزل القرآن الكريم مادحا للأنصار والمهاجرين حيث يقول الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » .

تغير الإنسان فصار سيدا له كرامته وله شخصيته وله استقلاله فى رأيه وله فكره وتأمله وتأصل مبدأ الشورى والحرية بين الناس ، وتلاحم الفكرين القيادة والقاعدة ، وإن شئت فاقرأ قول الله تبارك وتعالى : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

وظل هذا النجاح يعمل عمله ويسير سيره وينتقل من حسن إلى أحسن حتى أتم الله نعمته ، وارتفعت راية الإسلام وعادت مكة محررة من الأصنام مرتلا فيها اسم الله ، والفضل كل الفضل لهذا العمل الخيرى وهذا العبور الرائع الناجح الذى قام به محمد وصحبه والذى أيدته السماء وباركته فكان التغيير العظيم ، وصدق الله تعالى إذ يقول « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

حديث قدسى

لاتظالموا

□ روى عن النبى ﷺ عن رب العزة أنه قال :

يا عبادى : إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا

يا عبادى : كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم .

حديث شريف

الصلاة على النبى زكاة

قال رسول الله ﷺ :

من لم يكن له مال تجب فيه الزكاة ، فليقل : اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك ، وعلى المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات فهو له زكاة

دعـــاء

سبحانك

قال النبى ﷺ : لقد كان دعاء أخى يونس ، عجبا : أوله تهليل ، وأوسطه تسبيح ، وآخره إقرار بالذنب : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .

ما دعا به مهموم ، ولا مغموم ، ولا مكروب ولا مذنبون فى يوم ثلاث مرات إلا استجيب له

امنت بالله امنت بالله امنت بالله امنت بالله امنت بالله امنت

توجيه السلوك البشرى

روى عن الرسول – ﷺ – كثير من الأحاديث التى تناول السلوك البشرى كواقع يعترف به الإسلام ، ويوجهه إلى الوجهة التى فيها غناء المسلم وفائدته ، وسعادته فى الدنيا والآخرة .

د. محمد السعدى
نائب رئيس جامعة الأزهر

عن أبى الأحوص – رضى الله عنه – قال : « أتيت النبى – ﷺ – فى ثوب دون ، فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم . قال : من أى المال ؟ قلت : من الإبل والبقر والخيل والرقيق . قال : فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » (أخرجه أبو داود والنسائى) .

فالرسول يحث صاحبه على أن يتمتع بما آتاه الله ، ويشير إلى أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، فلا يجوز أن يكون مقترا على نفسه ويحجر عليها بمثل ما صنع هذا الصحابى الذى عندما جاء النبى يلبس ثوبا دونا أى رديئا خسيسا ، بل عليه أن يكرم نفسه ولا يهينها وأن يتحدث حالة بنعمة الله عليه ، « وأما بنعمة ربك فحدث » (الضحى ١١) ، بشرط ألا يجره هذا إلى الإسراف والتبذير .

ومن حديث عن ابن عمر – رضى الله عنهما – يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – « واعمل من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » (أخرجه البخارى) فالرسول يدعو إلى أن يهتم المسلم أوقات الصحة بالعمل فيها ، فإنه قد يعجز عن هذا العمل لعلة تعرض له ، والرسول يدعو إلى أن يتزود المسلم بالتقوى فى حياته قبل أن تحين ساعة الفراق ، فلا يملك وقتا للتوبة ، أو لتكثير السيئات بالعمل الصالح .

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » (أخرجه الشيخان) . يدعو الرسول الشباب إلى الزواج إذا قدروا على تكاليفه ونفقاته ، حتى تعف أبصارهم وفروجهم ، فإن لم يقدروا على هذه التكاليف والنفقات نصحهم الرسول بالصوم ، لأن الصوم – وخاصة إذا جاء على وجهه الصحيح – سبيل إلى تهذيب النفوس ، وترقيق المشاعر ، مما يساعد على تسكين الرغبة ، وتخفيف حدتها ، ووقاية أنفسهم من الانحراف والزلل .

وعن عائشة – رضى الله عنها – « أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار ، فقال نبى الله ﷺ – يا عائشة ، ما كان معكم لهو ؟ ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو ، ففى قول الرسول هذا إشارة إلى جواز اللهو البرىء فى المناسبات السارة ، فإن النفس البشرية تميل بفطرتها إلى الطرب ، فلا داعى للحجر عليها ، لكن الشريعة تقيد ذلك الطرب بما لا يكون فيه تحامل ولا إثارة للشهوة ، ولا تبذل ، مما يجر إليه من المفاسد ، ويترتب عليه من الفتنة .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ قال : « إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (أخرجه ابن ماجه والبيهقى) فالرسول يشير إلى أن الله – سبحانه وتعالى – تجاوز عن المسلمين إثم الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ، لأن مرتكب الأوزار فى حال من هذه الحالات لا يكون متعمد القصر والإصرار ، والناس يتعرضون لمثل هذا كل يوم وكل وقت ، فمن باب الرحمة بهم تجاوز لرسوله إثمها ، لكن إذا تعلق الفعل بحق من حقوق العباد وجب أن يقضى هذا الحق ، إلا أن يعفو صاحبه

د . محمد السعدى فرهود

الصبر من الإيمان

□ ونحن على أعتاب عام هجرى جديد ، نذكر الذين ابتلوا بالضراء وأوذوا فى سبيل الله ، فجعل صدق إيمانهم وصبروا على البلاء وشكروا على نعمة الإيمان . فليس ثمة شىء يستحق الجزع عليه إلا ضياع الإيمان ، وأن يفتن الإنسان فى دينه فقد قال رجل لسهل بن عبد العزيز ، أحد سقفا الصالح ، وهو متحسر متألم إن اللص دخل دارى وأخذ متاعى ، فقال له اشكر الله تعالى ، ماذا كنت تصنع لو دخل اللص قلبك ، ويقصد الشيطان بهذا القول ، فأخذ التوحيد وسلبك الإيمان .

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يكره كان يقول الحمد لله على كل حال .

لقد أنعم الله على الإنسان نعما كثيرة يجب أن تقابل بالشكر عليها ، وكان السلف الصالح ينظر إلى أى عضو من أعضائه ويشكر الله على بصره وسمعه ويديه ورجليه ، « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، ومن نعمه تعالى معاملة المحسن بكرمه والمسىء بحلمه ولطفه . وقال جل شأنه « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » .

وقال رسول الله ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبت سيئة واحدة .

ومن نعمه تعالى قبوله للتوبة ، « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون » ، ومن نعمه إمهاله للعصاة وهو على كل شىء قدير قال تعالى : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ، وقال جل شأنه ، « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا » .

فإذا كان الصبر على البلاء له أجر عظيم ، جنات فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وإذا كان الله هو المنعم المتفضل العطوف الرءوف الرحمن الرحيم الغنى الكريم كان حقا على الإنسان أن يشكره ويحمده ولا ينساه فى عسره ويسره وغناه وفقره وصحته

محمد الطحلاوى

من التراث

عمر بن عبد العزيز ألغى الضرائب الظالمة

□ حدثنا أدب التاريخ أن الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز حين ألغى الضرائب الظالمة أتاح فى نفس الوقت موردا كبيرا للدولة ، حين رد إليها جميع الأرض والثروة التى كانت تحت أيدى الأمراء .

وموردا آخر اعتبره أمير المؤمنين من أعظم مصادر الدخل وأثراها :

ذلكم هو وضع كل درهم فى مكانه وضروراته .. وتحريم كل تبذير ، وتحريم كل سرف .

أجل : لقد كان – ولا يزال – وضع المال فى مكانه الصحيح ، وداخل ضروراته الملحة وحدها ، خير مورد وأبق مصدر .

وفى هذا المجال يقرر الباحث الإسلامى خالد محمد خالد فى كتابه « معجزة الإسلام : عمر بن عبد العزيز » الصادر عن دار المعارف بالقاهرة :

لقد التزم – عمر – هذا النهج التزاما يكاد يكون مطلقا مع نفسه ، ومع أهله ومع ولاته ، ومع ذوى قرباه ، وأصدقائه ، والناس أجمعين .

ها هو ذا أحد المقربين إليه ، الأثير لديه ، عنبسة بن سعيد ، يذهب إليه يوما ، يسأله حاجة لنفسه .

فانطلق جواب الخليفة له :

يا عنبسة :

إن يكن مالك الذى عندك حلالا ، فهو كافيك .

وإن يكن حراما ، فلا تضيفن إليه حراما جديدا .

أخبرنى يا عنبسة :

أتحتاج أنت ؟ قال : لا .

أفعليك دين ؟ قال : لا .

إذن : فكيف تطمع فى أن أعمد إلى مال الله ، فأعطيكه فى غير حاجة .. وأدع فقراء المسلمين ؟ !

لو كنت غارقا – مدينا – لأديت عنك غرمك .. أو محتاجا لأمرت لك بما يصلح شأنك ، فليكن لك فى مالك غناء .

واتق الله – وانظر من أين جمعته ، وحاسب نفسك قبل أن يحاسبك أسرع الحاسبين !

إن هذا الذى قاله لصديقه الحميم « عنبسة » كان يقوله لكل من يسأله ما ليس له بحق .. على أن هذا الذى هو حق فى تقديره ، لم يكن يتمثل عنده إلا فى ضروريات العيش والحياة .

وهكذا أبى له أن يحول شهقات البائسين إلى بسمات منهللة ، وفرح غامر ، دون أن يحول السراة إلى طبقة بديلة للبائسين .

إن كل ما صنعه بهم أنه أخذ منهم ترفهم وتخمتهم ، ثم تركهم يعيون كراما متواضعين .. !

كلام الفندم

محمود